سورة الأعراف

obeikandl.com

﴿ سورة الأعراف ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾

حرج لكونه يحمل كلمة الحق، فيجب الإذاعة بها وتحمل مشاق إذاعتها بين الكفار والمشركين، وفيه تثبيت له ﷺ.

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾

هؤلاء أصحاب الوزن في المحاسبة بخلاف من يدخلون الجنة بغير حساب من هذه الأمة، وهم أصحاب الأعمال القلبية والباطنية، وهم السبعون ألفاً الذين ذكرهم المصطفى ﷺ في الحديث، وهؤلاء الذرة من أعمالهم بأطنان من أعمال أصحاب الوزن

﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

فلا يدخل حضرته سبحانه متكبر، إلا من سحقت نفسه وأصبحت رماداً رميداً، فإبليس المقرب وهو طاووس الملائكة ما أخرجه من حضرة الله سوى كبريائه وتغطرسه، بعد خضوع الكل لله سبحانه وسجودهم له لما أمرهم.

فبسبب التكبر خرج صاغرا مطرودا.

وقوله سبحانه: (فاهبط) أى اهبط من علو المنزلة إلى سفلية النفس ودل الحجاب، لكونك نازعتنى فى كبريائى وهو ردائى وشاركتنى فى عظمتى وهى إزارى.

﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

لشمول رحمتك التى وسعت الكل حيث قلت : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾.

وأنا من جملة هذه الأشياء التى أنت وسعتها.

وكان الخبيث أعلم الملائكة بالله ولكن قدر الله فيه نفذ ولم ينفعه علمه.

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴿٧٩﴾ ﴾

وبرغم طلبه من ربه أن يدخله فى الرحمة الشمولية إلا أنه بارز ربه بالمعاصى ولم يستفد من وسع رحمة ربه، فلم يستح الملعون فى خطابه مع ربه فى الحضرة، واستغل حلم الله عليه وإنظاره فلم يعبأ أن يخاطب ربه بقوله: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ وهذه عين الحرب، ولم أر من تجرأ وخاطب مولاه فى حضرته كإبليس لعنه الله.

والمفهوم من كلامه: أننى لن أسكت وسأعاقب آدم وذريته بسبب غوايتك لى، وهذه عين البجاحة فى مخاطبة الخالق الأعظم.

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾

أى أنا الجالس والقاعد فى دروب الصادقين والمخلصين لأجل انحرافهم عما أردته منهم من استقامة فمن يزحزحنى ؟

وهى حضرة منازعة ومكابرة بين الخالق والمخلوق، وكان آدم هو الضحية المنفذة لقدر الله فيها.

وقد استغل الملعون خاصية إعطاء الحق تعالى الغواية له، كما أعطى سبحانه ملك الموت خاصية سر نزع الأرواح من الأجساد، فظن أنها غواية مطلقة سيغوى بها الكل، ولكن الحق تعالى أخزاه ففاجأه من العلم الكلى، الذى لم يحط به إبليس، وأخرج له الاستثناء، وقتل فيه روح التكبر، وأعلمه أنه ليس له سلطان إلاعلى الطائفة المتبعة له فقط أما عباده المخلصون فخسأ وخاب من أن يصيب منهم شيئاً.

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

أى ولا تقربا حظ النفس فى هذه الجنة، وأشار لحظ النفس بالشجرة، ذلك لكونها جنة اختبار لا جنة قرار واستقرار.

﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

ذلك لكون ما ورى عنهما هو العورة الإلهية ــ مجازاً ــ لكونها من جملة الأمانات الإلهية، التى لا تؤخذ إلا بحق الله ولا تبدو إلا بكلمة الله، فالرجل لا يقرب الأنثى ولا يستبيحها إلا إذا

أذن الله له بذلك، وللسادة الواصلين العارفين آداب طويلة في ذلك:

فقد كان مولانا أبو بكر الصديق ﷺ إذا دخل الخلاء غطى وجهه بثوبه واستحى أن يرى عورته، وقيل إنه لم ير عورته قط حياءً من ربه.

وقال بعض الصحابة: ما لمست عورتي بيميني منذ أسلمت.

فأراد الملعون بدو تلك الأمانات من آدم وحواء بغير حقها وفي غير مكانها، حتى تتحقق لهما علامة الخذلان والإخفاق.

وقد تحقق الملعون أن بدو تلك الأمانات لا يتم إلا بمخالفة الحق واتباع حظ النفس بالأكل من الشجرة، لعلمه بمواطن الضعف من ابن آدم أكثر منه هو نفسه.

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

أي دلاهما من عز الطاعة إلى ذل المعصية، وهو منتهى مراده.

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

أي بمجرد التذوق من حظ النفس، بدت علامة الخذلان والتقهقر.

وعلامة ذلك تعرى المعرفة الإلهية عنهما، وتجرد المعرفة عن العاصي، وأشار إلى ذلك ببدو العورة، وهو رمز إلى ذلك،

يقول ﷺ: ((لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن)).

وإلى ذلك أشار علماء الكلام بأن الإيمان يزيد وينقص، فإيمان الرجل حين يهم بالمعصية ينقص حتى إذا صمم عليها تناقص أكثر، فإذا ارتكبها زال نهائياً، حتى يعيد الحق سبحانه وتعالى إليه إيمانه بكلمة التوحيد إذا نطقها أو بالذكر والاستغفار أو بالصلاة، وشؤونه سبحانه كثيرة، إذ هو يبدأ الخلق ثم يعيده إليه.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾

وفيه مخاطبة خفية لأهل المعرفة بأن من تزل قدمه كآدم فاللباس الظاهرى لا يعولون عليه كثيرا، فقد يسقطه الله عنه ويعريه، فليلتزم العارف بلباس التقوى فهو خير من اللباس الظاهرى من الريش وغيره، فإنه لباس زائف.

ولذلك كان بعض أرباب الجذب المطلق من أهل التجريد يمشون عرايا متجردين، ولسان حالهم يقول لبنى آدم الذين يلبسون الثياب ممن حولهم: أنا أفضل منك أيها المكتسى المزيف بلباس الزيف، فأنا قد تجردت عن زيفى وبقيت أنت بلباس زيفك وكذبك على ربك.

وقد أخبرنى الإمام العارف الكبير سيدى محمد أبو بطانية ﷺ أنه ظل سبع سنين متجرداً عن ملابسه على شجرة على

الطريق العام ــ طريق القاهرة الصعيد ــ إلى أن أذن له الحق تعالى فنزل من على الشجرة ولبس بطاينته.

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

هذا لأهل الحجاب أما أهل الله من السادة الواصلين فالعالم بين أيديهم كالطبق يرون فيه كل ما يحدث.

يقول الإمام الشبلى ﷺ: لو دبت نملة سوداء فى ليلة ظلماء على صخرة ملساء ولم أعلم بها لقلت إننى ممكور بى، ويقول أبو الحسن الشاذلى ﷺ: **إننى لأعلم بطرق السماء من طرق الارض.**

ولما وقع الفتح الأكبر للشيخ الدباغ صاحب الإبريز كان يرى الرهبان فى بلاد الروم وهم يدقون الناقوس، وحكى الشعرانى رحمه الله عن نفسه فى المنن أن من منن الله عليه إطلاعه على تسبيح الحيتان فى البحر المحيط حتى قال: وقد أعطانى الله محفة أدور بها حيث شئت.

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿٣١﴾ ﴾

أى خذوا زينتكم الباطنية بتنظيف قلوبكم فى مساجدى لكونها بيوتي، فلا تدخلوا بيوتى وأنتم ملطخون بدماء الإصرار على المعاصى والذنوب،فتصبح صلواتكم وركوعكم وسجودكم مجرد حركات كاذبة لا علاقة لها بالصلاة.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ

﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

نعم هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا، ولكنها لا تكون لهم خالصة إلا يوم القيامة.

فهذه الآية فيها تعبير لأهل البقية، وأما أهل الفناء فى الله الذين ماتت بقايا نفوسهم، فلا تهمهم زينة الله فى الدنيا ولا فى آخرة، وإنما هم عباد الله المتجردون عن كل ما سواه، لا يطلبون سوى مولاهم.

وهذا كما حكى عن بعض السلف أنه رؤى فى النوم فقيل له: ماذا فعل الله بفلان؟

فقال: تركته يأكل بين يدى الله.

فقيل له: فماذا فعل الله بك أنت ؟

فقال: لما علم الله منى قلة حاجتى فى ذلك أعطانى النظر إليه.

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴿٤٣﴾ ﴾

النزع هو القلع من الأساس، كما يقلع الفلاح النبتة فى الحقل من جذورها بعروشها، ولذلك سمى الموت نزعاً لانتزاع الروح من الجسد كلية ،بحيث لا يبقى منه شئ فى الجسد كلية.

وعن هذا عبر الحق سبحانه بانتزاع مجموع الصفات الذميمة من أهل الجنة، وعلى رأسها الغل لكونه أهمها، وذلك

حتى يليق بهم دخول الجنة، فإن الحق سبحانه حرمها على الكافرين وأصحاب العلل الباطنية، فيجب عليهم التطهر من دنس النفس وفجورها.

أقول: واعلم أن هذا النزع الذى يتم فى الآخرة، إنما يحدث لمن مات ببقيته، وأما أهل الله من الكمل فلابد لهم من موتهم كاملين قبل لحوقهم بالدار الآخرة، ذلك لكونهم قد دخلوا الآخرة وعاينوها قبل موتهم فكيف يبقى فيهم غل؟، وقد أنعم الله عليهم بنزع كل ما هو ذميم فى الدنيا قبل مغادرتها إلى الآخرة تفضلاً منه سبحانه عليهم، وهذا أوفى معنى للجهاد الأكبر .

وقد سئل الشيخ الكامل سيدى عبد القادر الجيلانى ﷺ : كيف وصلت إلى درجتك التى أنت فيها؟ فقال: ليس بكثير صوم أو صلاة ولكنى لا أبات وفى قلبى مثقال ذرة من حقد على أحد .

ومن جملة انتزاع العارفين للأوصاف الذميمة من صدورهم ما حكى عن سيدى أحمد الرفاعى ﷺ أنه كان يربى خمسين ألف مريد ولم يخطر له يوماً أنه أفضل من أقل واحد منهم حتى قال: حشرت مع نمروذ وفرعون وهامان إن كان خطر لى أننى أفضل من أقل واحد منهم.

وعن هذا المقام حدثنا الصادق الأمين ﷺ بقوله: ((**لا يحدثنى أحد منكم عن أحد حديثاً فإننى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**))

وكان ﷺ يقول: ((**أشرب كما يشرب العبد وآكل كما يأكل العبد**)).

وكان ﷺ إذا دخل عليه الرجل الغريب لم يميزه من أصحابه .

﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴿٤٣﴾ ﴾

وكلٌ يحمده على حسب مقامه: فالعارفون يحمدوه على انتزاعه سبحانه الغل من صدورهم فى الدنيا قبل ورودهم الآخرة على ربهم، وأن هذا ليس بشيء جديد عليهم.

وأهل البقايا والعلل يحمدوه على أنه سبحانه خلصهم من هذه العلة فى الآخرة قبل دخولهم الجنة.

ثم اعلم أنهم أرجعوا نزع حظوظ النفس منهم إلى خالقهم، لا بمجهود منهم أو بذل مشقة، فالفضل لله وحده يهدى من يشاء ويضل من يشاء.

﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴿٤٣﴾ ﴾

الرسل هى وسائل التبديل عند العارف، ونقله من كل ما هو مذموم إلى كل ما هو مجمود فهذه الرسل إذا جاءت جاءت بالحق والحقائق، حتى تبدل الصفة الذميمة إلى الصفة الحميدة

﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

أى ونودوا من نور المعرفة التى كانت مطيتهم فى الدنيا، بحكم الإراثة الربانية، وإنما الذى أوصلهم إلى إرث الجنة ما ورثوه فى الدنيا من علوم الحقائق، فهم فى غنى عن إراثة الآخرة، فهذا ليس بجديد على العارف أن يتعرف على ما عرفه له ربه سابقاً، يقول تعالى واصفاً هذا المقام: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾، أى تعريف سبق، لكونهم أهل السبق، فهم السابقون

وغيرهم بهم لاحقون، وهم الأوائل وغيرهم الأواخر .

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴿٤٦﴾ ﴾

عاكس، يعكس لكل حقيقته التى جاء بها إلى الدار الآخرة.

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴿٤٦﴾ ۚ﴾

وقد تكلم شيخنا الحاتمى فى الفتوحات على رجال الأعراف.

وهم رجال التعريف الإلهى يعرفون بالشم كلا بسيماه: أهل الجنة وأهل النار، وذلك لاشتعال جذوة المعرفة والتعرف الإلهى فى قلوبهم، ولأن الحق تعالى قد أقامهم لأجل التفرقة، فهذه السيما لا تبدو إلا لهم فقط، قد أكسبهم الله ذلك العلم، وأقامهم على سور التفرقة وعلى البرزخ الفاصل بين الطائفتين

﴿ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

إلا فى لقاء الله عز وجل، وأما ما سواه فهو هين لا حاجة لهم به.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ ﴿٥٣﴾ ﴾

أى سقط منهم الحياء فلم يبقَ سوى تحققه وإنجازه .

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

لمسايرة العقل البشرى فى عالم التكليف وفى تنزلات عالم

الخلق والأمر، وأسقط القدرة اللحظية فى خلقهما، لكونه سبحانه قادراً على خلق السموات والأرض فى لحظة بقوله كن.

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾

واعلم أن العرش عند الصوفية هو هيكل العالم المحيط بمجموع أفلاكه وعوالمه وما فيه من روحانيات وأجسام، وسماه عبد الكريم الجبلى فى الإنسان الكامل عندما تكلم عن العرش بالجسم الكلى المحيط بمجموع حضرات الوجود وأفلاكه وعوالمه.

واعلم أن العرش له باطن وظاهر، فباطنه عالم القدس وهو عالم أسماء الحق وصفاته، وظاهره عالم الإنس وهو محل التشبيه والتجسيم والتصوير.

وفى نظرى لا يستطيع أحد أن يصف استواء الحق على عرشه، فسبحانه وتعالى خارج الأوهام والظنون والعقول، وكما قال حكيم القوم اعرف نفسك قبل أن تعرف ربك.

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۖ ﴾

أى يغشى ظلمات العماء بأنوار الأسماء والصفات، ليقضى أمراً كان مفعولا.

﴿ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ ﴾

أى ذلك العماء يتنزل إلى عالم الأنوار الأسمائية والصفاتية، طلباً لا يلوح لأحد كيف يدخل هذا فى ذاك، وهو قوله حثيثاً،

وبربك هل رأيت النهار وهو يدخل فى الليل وهل رأيت الليل وهو يدخل فى النهار ؟.

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

والخلق هو القدرة والأمر هو الإرادة، وهما من مقتضيات عالم الشهادة وقام بهما تنزلاً من عالم الملك.

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

هذا لأهل الأحوال، خلافاً للمقربين أصحاب المقامات فإنهم يستحوا ان يسألوه، خوفاً وطمعاً، قد تعادل عندهم الخوف والطمع والليل والنهار والفقر والغنى.

وسيد الحالين فى هذا المقام هو خليل الله إبراهيم عليه السلام لما جاءه جبريل وهو فى النار وسأله: ألك حاجة؟

قال: علمه بحالى يغنيه عن سؤالى، فاستحى أن يسأل ربه خوفاً من النار وطمعاً فى تخليصه منها واكتفى بتفويض أمره إلى الله.

ولما أراد يحيى عليه السلام الخروج عن هذا المقام، قيل له وهو فى الشجرة وهم ينشرونه بالمنشار: لو قلت أخ لنزعنا عنك النبوة.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴿٥٧﴾ ﴾

الرياح هى الأنفاس الرحمانية القاطعة لقنوط البشر، والمخرجة لهم من القنوط إلى السرور، والحق تعالى يرسلها مبشرات بين يدى رحمته، وعبر عنها بمقدمات المطر وهى الرياح والسحاب.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴿٥٧﴾ ﴾

السحاب الثقال هى الفيوضات الربانية والتى تساق إلى قلوب العارفين العطشى فبحدث لها الري، وإنما عبر عنها بأنها متية، لأن كل تجلٍ جديد يدخل فيه العارف يعتبر بالنسبة له كأن لم يعرفه من قبل، فهو جديد بالنسبة إليه، ولهذا قال الشيخ الأكبر فى الفتوحات إن الحق تعالى لم يتجل بتجليين متشابهين قط.

والمقصود أن العارف عند دخوله فى تجل جديد كأنه كان ميتاً وولد من جديد لرؤيته لتجليات جديدة لم يعرفها من قبل ولم يعهدها فى عهده السابق.

﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴿٥٧﴾ ﴾

فأنتجنا به المقامات والأحوال ما لم يكن يعهده العارف من قبل.

﴿ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

أى كذلك العارف فى ولادة جديدة فى كل نفس من أنفاسه.

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

إشارة إلى حقيقة الطينة الأصلية، والتى اقتطفت منها المضغة فى عالم الشهادة.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾

العصا هى ألسنة التلونات والتى يقرع بها موسى فرعون كلما أراد أن يصد غيه فيتلون معه فيثنيه .

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴿١٤٣﴾ ﴾

طموح إلى ما ليس له، وإنما هو لصاحب المقام المحمود ﷺ .

﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴿١٤٣﴾ ﴾

فكفاك الكلام معى فهو مقامك، وأما النظر فهو لمحمد ﷺ

﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ ﴿١٤٣﴾ ﴾

لكونه موضع التجليات التى تتحملنى حيث لا يقدر عليها سواه، وذلك لخوفه على موسى أن يتلقى التجلى مباشرة على ذاته

﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴿١٤٣﴾ ﴾

وقيل إن الجبل ساخ فى الأرض أربعين ذراعاً .

وحقيقة الجبل أنه كناية عن الجبل الحقيقى وهو محمد أى ذات الحقيقة المحمدية لكونها استقرت للتجلى ولم تسخ فى الأرض ــ ليلة المعرج ــ ولكن أقام الحق لموسى عليه السلام فى الحضرة جبلاً غير محمد ﷺ، لكى يظهر له قوة الهيكل المحمدى ﷺ .

﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴿١٤٣﴾ ﴾

أى ميتا مغشياً عليه، لكونه تلقى ما لا يتحمله ذاته مما ليس من مقامه.

﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴿١٤٣﴾ ﴾

أى تبت إليك من أن أطلب مقام محمد مرة أخرى ﷺ.

﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾

بأن ذاتى صعقت من تجليك للجبل، فكيف لو تجليت لها هى لتضعضعت ولما صلحت للإفاقة.

واعلم أن مواضع البراكين ومواضع تجليات القنابل النووية وكذلك مواضع تجليه سبحانه فى نواة الأرض والتى تبلغ حرارتها مليون درجة مئوية، لا تساوى مثقال ذرة من قوة ذلك التجلى.

هذا ليعلم الكل قوة الهيكل المحمدى وشدة أنواره الهائلة والمهلكة المميتة، ومن هذا التجلى كان بعض العارفين يتلثم وإذا كشف لثامه أمات من أمامه، منهم أبو يزيد البسطامى ﷺ وسيدى أحمد البدوى ﷺ.

وصفة هذا العارف أن معه من أنوار الجلالة المميتة وهو صاحب حظ من ذلك التجلى المميت.

ويحكى أن مريداً كان يخدم أبا يزيد ﷺ وكان يسأله أن يريه وجهه وهو ينهاه حتى صمم المريد، فكشف له أبو يزيد اللثام فمات، فلما سئل أبو يزيد عن موته ؟

قال: كشف له سر من أسرار الربوبية فلم يحتمله فمات.

وكان سيدى أحمد البدوى ﷺ يقول: النظرة بموته.

وحكى صاحب الإبريز أن أهل الديوان ينتابهم خوف شديد ورعب إذا حضر النبى ﷺ فيه، لما لا يحتملونه من شدة أنواره القاهرة المميتة، ولولا لطف الله بهم وحلمه لهلكوا.

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

أى فكفاك ما آتيتك من الكلام معى، ولا تطمع إلى النظر واشكرنى على ذلك.

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴿١٤٥﴾ ﴾

فعلى قدر الفهم يتلمح العارف تفصيل الأشياء فى كلام الله.

وكما قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى ﷺ: إن الكامل من يستخرج من النقطة التى تحت الباء كل أحكام الشريعة.

نقلته عنه من كتاب الطبقات الوسطى.

﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴿١٤٥﴾ ﴾

أى لا تضعف حين تتلقاها، وتدكك تجليات الحق فيها، فأمره سبحانه بقوة الهيكل، وقد كان النبى ﷺ إذا أوحى إليه تربد وجهه وعرق وغشى وجهه بثوبه، وهو من قوة التجلى الحاصل على ذاته.

أقول: وذلك لكونه تجلياً جديداً لم يتنزل إلى السماء الدنيا إلا

على ذاته الشريف، وهو أول من تلقاه ﷺ وخفف عنا أنواره القاهرة القاتلة إلى ملايين التخفيفات، وإلا لو تحمله أكبر أقطاب الأمة أى تجلى الوحى الأصلى لذاب كالماء .

﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

أى سأريكم كيف أجعل من دار الفاسقين عبرة لكل معتبر وممن له بصيرة وبصر، وألقى السمع وهو شهيد .

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

أى سأصرفهم لكونهم ليسو أهلاً لتلقى آيات الله فيهم،وليسوا من أهل التلقى عن حضرة الله عز وجل، بل موضع الطينة المذمومة والمضغة الخبيثة .

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

هى ردة حدثت لهم كتلك التى حدثت لبعض المسلمين بعد وفاة النبى ﷺ، وهى ليست لكل قوم موسى بل لبعضهم .

وقيل: إن الشيطان كان يدخل فى جوفه لكونه أجوفاً، ويصدر أصواتاً فيظنوا أنه يتكلم .

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴿١٥٠﴾ ﴾

أى غضبان لله لا لحظ نفسه، فإنهم لا يغضبون إلا لله وحده.

﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

ولما علم منهم موسى عليه السلام تعجلهم لعذاب الله، ألقى الألواح جانباً وضن أن يطلعهم عليها، لكونهم ليسوا أهلاً لتلقى كلام الله ولكونهم اتخذوا إلها غير الله.

﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

لغلبة الحدة الإلهية عليه، ولكونه أحد حملة العرش المجيد، فزاد عليه التجلى القهري، وأراد الانتقام لله عز وجل، حيث كان جلالياً، وفعل هكذا بهارون دون غيره لكونه جعله خليفة مكانه لما ذهب لميقات ربه، وقال لهارون:﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

ولكن لماعلم برآة ساحة هارون غفر له.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

والعجل هو حظ النفس وهواها القاتل، لكونهم غلب عليهم حبه ولم يكبحوا تلك الرغبة برغم نهى موسى عليه السلام لهم

سابقاً عن هذا الهوى.

قال تعالى ــ متحدثا ــ ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾.

فكل آدمى يعبد هواه، فهو عابد للعجل لا محالة، لكون هؤلاء قد عرفوا موسى وعرفوا ربه، وما زالوا يعبدون هواهم من دون الله فى صورة العجل، وطلبوا من موسى أن يتخذ لهم إلهاً غير الله، وما ذلك إلا هوى النفس القاتل، وسلطانها الجامح.

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

وذلك كناية عن التجلى القهرى الجلالى ــ لا عن الغضب نفسه ــ وإلا لما قال ولما سكت، وذلك لكون هذا التجلى ــ أى القهرى ــ متحكم فى العارف، ولا يستطيع العارف أن يتحكم فيه، وذلك لكونه من الصفات الجلالية البطشية، فهو الذى يجب أن يسكت عن العارف لا العارف يسكته، فالعارف لا يتحمل أن يقف أمام صفة جلال الله وقهره فافهم

﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا ﴿١٥٥﴾ ﴾

وهم الذين لم يعبدوا العجل مع من عبده، وهم خلصاء قومه وصفوتهم، فإن مثل هؤلاء يصلح لميقات الله، الذين انتزع منهم الهوى وعبادته، وهؤلاء الذين لم ينالهم غضب من ربهم وذلة

فى الحياة الدنيا كما أخبر تعالى.

﴿ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴿١٥٥﴾ ﴾

هى رجفة المؤاخذة بما فعله السفهاء من عبادة العجل، فأراد الحق سبحانه أن يؤاخذ بها الكل، فراجعه موسى عليه السلام فاستجاب له ربه.

﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾

اعلم أيدك الله بروح منه أنه لا زالت سنن الحق تعالى قائمة على حفظ الأرض بالأنبياء لتقلهم الروحى ولكونهم رسل الله المؤدين لرسالاته.

فلا يهلك نبى فى رجفة بذنب سفيه، بخلاف غيرهم من الصلحاء فقد يهلكوا، وهذا فرق النبى من الولي، فالعصمة تمنع النبى من ذلك، وأما من لم يكن معصوماً فيجوز هلاكه بسنة عامة أو آية ربانية قاهرة.

ومما يؤيد هذا الكلام ما ورد من قوله ﷺ لما سئل

((**أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم إذا ظهر الخبث**)).

﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ

كُلَّ شَيْءٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾

اعلم أيدك الحق بروح منه أن مرتبة الرحمانية، وسعت كل ما خرج عن حضرة الإمكان من العدم، حتى إبليس نفسه ـ لعنه الله ـ قد خاطب الحق عز وجل من هذه المرتبة، لما تحقق من أنها وسعت كل شئ، فأنظرته الحضرة، حتى خاض الشيخ الأكبر وماج فى الفتوحات بكلام نفيس حول هذه الآية، فى تخفيف العذاب عن أهل النار من الكفار.

﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٥٧﴾ ﴾

اعلم رحمك الله أن من تدبر هذه الآيات السابقة وأنزلها موضع اللب بتدبر عارف مشرق وبتحقق ولى محدق، تيقن أنه ﷺ عين الرحمة الربانية التى رحم بها الحق سبحانه الوجود الشهودى والغيبى، ذلك لكونه الرحمة التى وسعت كل شىء، وانظر كيف قال الحق تعالى بأن رحمته التى وسعت كل شىء لن يكتبها إلا لمن اتبع هذا الرسول النبى الأمى، وهذا أعظم دليل على أنه ﷺ هو الرحمة التى وسعت كل الأشياء.

ولكن كيف أن كل من آمن بالله من لدن آدم عليه السلام حتى عصره ﷺ هم من أتباعه ؟

وهل ذلك حقيقة أم هو من المجاز ؟

وحقيقة ذلك أن الأنبياء مجتمعين ما أخذوا إلا من عين حقيقته ومن ضوء مشكاته، ودليل ذلك أنه ﷺ صلى بهم ليلة الإسراء وكان هو قدوتهم .

فلا يبرز مدد لنبى كان من كان أبان بعثه إلى قومه إلا من تلك العين المحمدية ودليل ذلك قوله سبحانه ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ أى يجدون مدده ونفثه قائماً فى تلك الكتب.

وإلا فما تصنع كتابة بلا روح وبلا مدد معنوى وباطني، فمعنى مكتوباً أى ممداً بروحه لتلك الأمم جملة وتفصيلاً .

وكذلك من جملة أدلة هذا المقام قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ﴾، فأعلمنا باتباعهم له باطناً وإن لم يكونوا على رسالته ظاهراً، ثم أتى سبحانه بأدوات النهى والأمر على لسانه الشريف، فأخبرنا أنه ﷺ هو الذى يأمرهم بالمعروف وهو الذى ينهاهم عن المنكر وهو الذى يحل ويحرم لهم، فقال: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ .

ثم أخبرنا سبحانه أنه هو ﷺ الواضع عنهم لكل أوزارهم وأغلالهم نيابة ــ فى الباطن ــ عن أنبيائهم الظاهريين .

وانظر كيف أنه ﷺ تحمل ذلك وأبدى تلك العين الرحمانية الإتساعية لما قال لقومه: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وقال: عسى أن يخرج الله من أصلابهم من يقول: لا إله إلا الله ومن الآيات الباهرة والأدلة الدامغة على أن الأنبياء مقرون له ﷺ بهذا الاتساع الرحمانى والإتباع الشهودى الغيبى قوله ﷺ ((والله

لو كان موسى بن عمران حياً ما وسعه إلا اتباعى)) .

وأهل الله العارفون به وبحقيقته ﷻ يرون الوجود كله متصلاً بأنواره كشفا صريحاً عيانا بيانا، وتلك هى الحقيقة المحمدية، والتى تمد الكل من عينها، والكل إليها يتناهي:

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾.

فالإعادة كلها فى تناه متصل به ﷻ، كما كان هو أولها.

ولذلك أعقب هذه الآيات سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾ ﴾

وهو ربط بما مضى وأنه تكلم ﷻ بلسان الحضرة الإلهية فقالت له: قل لهم يا محمد هذه الحقيقة وأرحهم: إن الرسول الذى جاء إليكم جميعاً من آدم حتى النفخ فى الصور هو واحد لم يتغير وإن تغيرت الأسماء والصور، إلا أنهم كلهم مصبوغون بالحقيقة المحمدية، وهى تقطر منهم.

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

وهؤلاء الذين فقدوا الحياء من الله وعذبوا نبى الله موسى عليه السلام، فلم يكن إيمانهم إلا بتهديد لهم لا عن طوع ورضى، فبئس القوم هم.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ

﴿ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾

وهذا الذى يسميه أهل المعرفة بعالم الذر، وهو الذى ذكره النبى ﷺ فى الحديث الشريف، فمن أصابه النور الذى رشه الحق سبحانه على أهل الذر فهو من أهل السعادة، فإن الحق تعالى أوقفهم بين يديه ورش عليهم من نوره فمن أصابه شئ من ذلك النور كان من أهل اليمين، وكل على قدر نوره، ومن لم يصبه فى ذلك الموقف شئ من نوره كان من أهل الشقاء.

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴿١٧٩﴾ ﴾

وهو من شؤون الربوبية، فإن الحق سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، والربوبية من شؤونها ترفع أقواما وتخفض آخرين، لكى يقضى الله أمرا كان مفعولا.

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

وهم أهل الطمس، من طمس الله على قلوبهم فنزع منها الفقه بالله، ونزع من أعينهم البصر، فلا يبصرون أنفسهم بل نسوا أنفسهم فنسيهم الله، ونزع من آذنهم سماع أوامر الحق فيهم، فأصبحوا كالأنعام فتدنوا إلى درجة البهيمية، بل هم أضل من ــ الأنعام، درجة البهيمية، لكون الأنعام مفطورة على هذا، وأما هم فتخلوا عن عقولهم بإرادتهم وصاروا مشاركين للبهائم ــ بإرادتهم ــ من حيث عدم الفقه والإبصار والسمع.

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

وإنما أمرنا سبحانه أن ندعوه بالأسماء دون الذات لكونها مواضع التنزل، وهو ما يحتمله المخلوق دون الذات الصرف، فإن من دعى الحق تعالى بأسمائه دون ذاته كان أقرب لمواضع الاستجابة، ذلك لكون الأسماء هى مواطن ومراتب التعدد، فهى قابلة للوظائف البشرية المتعددة فى عالم الشهادة، وأما الذات فإنه صرف محض لا تعدد فيه، أعنى تنزل الذات من مرتبة الاحدية إلى مرتبة الواحدية واكتمالها فى الصورة الإلهية، ثم تعددت أسماء الحق تعالى لخدمة عالم الملك وعالم الخلق والأمر.

فكل معوز يتمسك له باسم خاص يقضى به حاجته ويدعو به ربه عند المهمات، وأما الذات المحض فلا سبيل لقضاء حاجة أهل المهمات لمحضيته من حيث هويته وصرافته.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

وهو من شئون المكر الإلهي، وذلك لكون المخلوق أعمى وأصم وأخرس إذا دخل فى حرب مع الله، فإن الله يأتيه من حيث لا يحتسب، قال تعالى ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ أى من ألون المكر والاستدراج.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى

لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

اعلم رحمك الله أنه لا زال شأن الأكابر على التكتم على أسرار الله الكبرى وعدم البوح بها، وهذا كتكتمه ﷺ على سر الروح وسر الساعة، وأما من قال من أهل الغفلة والجحود بأنه ﷺ غير مطلع على مثل هذه الأسرار فقد جهل مقداره ﷺ وغبنه حقه، كيف والحقائق تبوح بما فيها من أنه ﷺ رأى ربه في ليلة المعراج، وهل هناك معجزة أكبر له ﷺ من هذا ؟ وقد اطلع ﷺ على العالم بما فيه وبما حواه من أفلاك وسموات وجنات ونيران وعوالم وملائكة وأنبياء، ثم اختتم ذلك كله بلقاء الخالق الأعظم ورؤيته والتحدث معه، وقد ذكر النبهاني في مقدمة كتابه جامع كرامات الأولياء مراتب اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ وذكر أن :

منهم من له الاطلاع الكامل عليه.

ومنهم من له الاطلاع الجزئي.

ومنهم من يجلس عليه ولا يقرأ ما فيه.

أقول ومعلوم أن قيام الساعة مدون في اللوح، لكون الحق سبحانه كتب فيه كل ما هو كان وسيكون.

وإذا كان أولياء من أمته قد اطلعوا على سر الساعة من اللوح، فكيف به هو ﷺ وله الاطلاع الأشمل، والتعرف الأكمل، أقول ولكن الأكابر لهم أدب جم وحياء غزير في التكلم على

أسرار الله وعدم البوح بها والتعامى عن إظهارها أمام الخلق والادعاء بعدم معرفتها، وإلا فكيف ألف ابن عربى الشجرة النعمانية وتنبأ فيها بحوادث كثيرة بين يدى الساعة ؟

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾

وهو استكمال لتمام أدبه ﷺ مع ربه فى شأن عدم بوحه بالساعة.

﴿ إِنَّ وَلِىِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾

اعلم أن اسمه تعالى الولى يشمل الكل، فالحق ولى والنبى ولى والصالح ولي، ولذلك قال سيدى محى الدين فى الفتوحات إن دائرة الولاية أعم وأشمل من دائرة النبوة.

ذلك لكون الولاية اشتق الحق منها اسماً له، ولم يشتق له اسماً من النبوة.

ولما تحقق ﷺ شمول هذه الرتبة، لجأ إليها وطلبها واختار ولاية الحق تعالى وفضلها على النبوة.

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

هو مخاطبة لأمته ﷺ على لسانه، فخوطب بلسان الخصوص لأجل مصلحة العموم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ﴿٢٠١﴾ ﴾

من غير أهل العصمة.

﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا ﴿٢٠١﴾ ﴾

الله بقلوبهم أو بألسنتهم وأعلاه ذكر السر، وذلك حتى يخنس عنهم اللعين.

﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

لحقيقة الطاعة وعزها ومبصرون لحقيقة المعصية وذلها.

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ ﴿ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

أى أن إخوان الشياطين يمدونهم بالغى لأجل إضلال المؤمن ولا يقصرون فى ذلك ولا يتوانون، ويتكاتفون ويجتمعون على حربه حتى يقع فى المعصية، كما قال ﷺ:

((إن إبليس ينصب عرشه على الماء ويبعث سراياه حتى يجيئه أحدهم فيقول له: فعلت كذا أو كذا، فيقول له: ما فعلت شيئاً، فيأتيه أحدهم فيقول له: ما تركته حتى فرقته عن زوجته، فيدنيه منه ويقول له: أنت حبيبى)).